



عبث أرستقراطي

للأستاذ نجيب محفوظ

في ذلك المساء من شهر مارس أزيين قصر الوجيه حامد بك عرفان بحلة لألاءة من الأنوار التملوجة ذات الألوان ، مدت أسلاكها الكهربية على سور الحديقة فتعانت مع الياسمين والبنفسج . وتملقت بأفرع الأشجار والنخيل ، وتوجت بها شجيرات الورود المنتثرة على هيئة أهلة ونجوم . وكان أعجب ما في القصر هو ذلك اللهب المتلحم الأنيق الذي فرش بفاخر الأثاث وحليت جدرانه وأركانه بروائع الفن من صور ونحف ، وترك في وسطه مكان رحب للراقصات والراقصين ، أما في صدر المكان فقد امتدت ردهة إلى مقصف حافل ، وإلى يمينها فيما يلي الشرفة المطلة على الحديقة احتلت فرقة الموسيقى الإيطالية مكاناً جميلاً ... وانتشر فيما بين اللهب والشرفة والمقصف والحديقة المدعوات والمدعوون الذين لبوا الدعوة للاحتفال بعيد ميلاد كوكو الصغيرة ابنة الوجيه عرفان بك وزوجه أنجي هانم عرفان ... وكانوا يجلسون أزواجاً ومجمعات يتجادلون أطراف الأحاديث حيناً بالبرية وأحياناً بالفرنسية ويتضحكون بأصوات عالية رقيقة وخسنة . وإذا دعت الأنتام قاموا للرقص والمناق . وقد شاع في الجو عطر وأنس وحرارة كأنها أنفاس المودة تنفثها الأعين والشفاه والصدور والأمان الهامسة

وكانت الأحاديث متنوعة ، ولكنها تدور في الغالب حول موضوع واحد يتجادلها كما يتجادل للنور الفراشة ، وهو للمرأة ، ولا يُسنثنى من ذلك الجماعة التي كان عهداً الأول الأستاذ على الجميل الصحافي المروف والنائب المحترم ، فاخرج الحديث فيها من الزواج واختيار المرأة الصالحة ، وكان النقاش يحتمل بين المتجادلين من الجنسين بصورة عنيفة مضحكة . أما الوجيه نور الدين

فكان يتوسط حلقة أخرى يروي فيها ما اتفق من قصص مفارقاته للفرامية في للمواسم المالية ذوات الشهرة في الحب والجمال ؛ وفي ركن منزل امتاز بوفرة من حوى من الشابات والشبان أقيمت مسابقة سرية لاختيار أقبح امرأة بين المدعوات وأنجوت أبصار المحسكات والمحسكين إلى امرأة اتخذت مكانها تحت صورة الفنانة وابنتها « ليفيجيه لوبرين » ، وكانت عجوزاً إلا أنها تتصابي وتستعير من ألوان الجمال ما تظن أنه ينسج عما استرده الدهر من حياة شبابها ، فهدت تحت طلاء الأصباغ في هيئة مضحكة ، وكانت تتجنب للناس وتقعن بالجلوس منفردة حتى تمود إلى مجالسها ربة الدار أنجي هانم كلما تآقت نفسها إلى الراحة . أما اسمها فدولت هانم ، وقد راضت نفسها على اللزوية بعد تجربة أربع زيجات غير موفقة ، وكادت تياس من الرجال والحب . وقتت من متاع الدنيا بمضغ الأعراض والخوض فيما تعلم وما لا تعلم من أسرار للناس ، فصارت ممجبة لتواريخ السوء . وكانت في تلك اللحظة التي اختيرت فيها سرراً ملكة للقبح ... تجالس أنجي هانم ، وكانت تلوذ بالصمت قسراً بعد أن لم تيق على أحد من الحاضرات والحاضرين ، حتى أتيت لها فرصة جديدة للكلام بحضور الوجيه الأستاذ محمد جلال المحامى وزوجه الحصفاء صفية هانم جلال . وكانا يلفتان الأبصار حينما سارا التراء الزوج المالك لأربعة آلاف فدان في الصميد ، وجمال الزوجة ورشاقتهما ، وقد استقبلتهما أنجي هانم بمودة ظاهرة وباطنة ، ولما عادت إلى جوار دولت هانم مالت هذه على أذنها وقالت بصوتها الخافت البهوح :

— يا لها من زوجين سميدتين جيلين !

فقالت للسيدة بهماس :

— الأستاذ جلال شاب يندر أن يوجد نظيره بين الشباب

الناجح الثرى ... ألا تعلمين أنه مرشح لكبرى النيابة ؟ ...

وأما صفية فهي آية للجمال والصفاء ...

فأبتمت المرأة ابتمامة باهتة وقالت :

— نعم ، نعم ... لا شيء يسيبه إلا أنه يقال إنه قد يتبارز

من أجل راقصة ، أما إذا استثيرت غيرته الزوجية فقد ينفى ...

وضافت أنجي هانم ذراعاً بجديت صاحبها ، فترسأ لها إيضاحاً

على أنهما نملان ، فلما أطفئت الأنوار لم يتردد للشاب فدنا برأسه
منها حتى كادت تمس شفها أذنها وشمس قائلاً : « هدى »
وارتجفت المرأة كالذئبورة ولم ترد عليه ، فقال لها ممسأ وهي تمس
بلس شفنيه لأذنها : « هذه فرصة طيبة . قوى وانيميني »
وكان يودها لوتقباله كما يقضى الدلال ولكنها خشيت أن يضاء
النور بسرعة ، فقالت ممسأ :

— إلى أين ؟

— إلى حجرة التدخين في الطابق العلوى !

— قد يفتقدوننا

— وماذا بهم ... سيظنون أننا في الشرفة أو في الحديقة
أو في المصنف أو هنا أو هناك ، وسنمود من طريقين متباعدين ...
وأمسك بكفها وقام واقفاً فقامت بدورها ، واتجه نحو السلم
وهي تبتمه ، وارتقياه بسرعة ، فوجدتا نفسيهما في ردهة مضاءة
بنور بنفسجى هادى ، تطل عليها أبواب متباعدة ، فسارا إلى
هدفهما ودخلا ممسأ ثم ردا الباب في سكون ، وكان الجو مظلماً
شديد الظلمة ، ولكنه كان يبرق المكان فانطفا إلى اليمين
وتقدما خطوات ، حتى عثرت يده بكنبة كبيرة وثيرة ، فجلس
وجلست ، وتهد من أعماق صدره ، وقبض على كفها فوجدتها
ترتمش كالقرورة ، فسرت رعتها إلى قلبه ووجد به غمزاً لم يبرأ
منه حتى ضمها إلى صدره بنف وأمهال على وجهها يقبله بشغف
وجنون ، كم لبتنا منفردين ؟ إنه لا يدري ولكن المحقق أن تلك
الخلوة للسيدة لم تخل مما ينقصها ، فقد خيل إليهما أن أقداماً
خفيفة كالمحاذرة تدنو من باب الحجر ، فتباعدتا قلقين وأرهنا
السمع واتجهت أعينهما في الظلام ناحية الباب ، وخالا أكثر
من هذا أن يبدأ تعالج الباب بلطف ... ترى أحق هو أم وم !!
ولكن الباب تحرك ونفذ إلى الحجر شمع هادى كروح
معتضرة ، فاشتد بهما الرعب وودا لو تبتلهمما الأرض ، وما لبث
أن تسلل شبح في حذر وتبتمه آخر ، ثم رد الباب إلى ما كان
عليه فساد الظلام مرة أخرى ، وكان الداخلان شديدي الحذر
فلم يبديا حركة ، ولم يصدرا أصواتاً ، وكأنهما ذابا ممسأ في الظلمة

وتشاغلت عنها بمشاهدة بعض الراقصين ، ثم استأذنت لاستقبال
بعض صواحبها ...

وسلم الأستاذ محمد جلال وزوجه على عدد عديد من الأصدقاء
والصديقات ، ثم اختارا أن يجلسا إلى زوجين جيلين مثلهما
هما الوجه طه بك المعارف وزوجه الحشاء هدى هانم المعارف ،
وكان الأستاذ جلال يبدى إعجاباً خاصاً نحو السيدة هدى . فلما
عزفت الموسيقى دعاها إلى الرقص معه وقبيلت بسرور ورقصت
زوجه مع طه بك ...

وطرب الجميع طويلاً وشربوا كثيراً ، فدارت رؤوس
وثررت ألسنة كتومة ، وقاضت الأحاديث ، وامتألاً الجو برنين
للضحكات ووميض الابتسامات وإيمادات النزل ، والتفتت أعين
وتعاست أنامل وارتتمت شفها ... حتى جاءت تلك الساعة المختارة
من الليل فتوسطت الدعوين السيدة أمجى هانم وقالت بصوتها
الرخيم :

— اسمعوا لى سيداتى وسادق أن أقدم إليكم مفاجأة

السيد للسيد

وتطلعت الوجوه إليها من كل صوب وتجمع حولها اللمثرون
ما بين الشرفة والمصنف ينتظرون فرحين . وبفتة أطفئت الأنوار
بغير تذر وساد المكان ظلام دامس دام خمس دقائق ما كان
يسمع خلالها سوى همس خافت أو ضحكات مكتومة ، ثم أضيئت
الأنوار مرة أخرى فرأى القوم منظرأ بديماً ... مهدا على قوائم
أربع طويلة ، مسقفاً بستار من حرير على هيئة هرمية ، وفيه
جلست كوكو متكئة على يديها الصغيرتين في تريم أبيض كأنها
وردة بيضاء يانعة ، وكانت ترمق الناظرين بمينين دهشتين صغيرتين
ينمكس النور على زرقتهما الصافية ا فصفق الجميع تصفيقاً رقيقاً
وهتفوا بإسمها ، وقبل الأتصاف يدها للصغيرة ، ثم قدمت الهدايا
النفيسة حول مهدا الجليل ، وشمل القوم سرور عظيم فاستأنفوا
لهوم يراودة أشد زوعاً للصبا والسرة . على أن فترة الظلام
القصيرة لم تمر بسلام كما توهم الجميع . فقبيلها بدقائق كان الأستاذ
محمد جلال يجالس هدى هانم في المصنف وقد دل عيشهما المرح

ويلمن زوجه المستهتره ، ولم تكن هذه أولى خياناتها ، ولكنها وقمت على كذب منه بحال بشمة لا يمكن أن تعفى من الذاكرة . فمحققاً لها ... وقام يتمنى في الحديقة فأرأ بوجهه المنتقع من الأعين جميعاً ، ولقحه هواء الليل للبارد فرطب جبينه للساخن ، وأنش فؤاده المضطرب . وصح عزومه في تلك اللحظة على أن يسلم قياده لمغامرات للفرام الجنوبية غير مبق على شيء ولو أدى الجنون إلى الظهور مع هدى في المجتمعات العامة وميادين السباق . وتلقته هذه الخواطر فأحس بإرتياح ومضى يفتق من همومه ويتنبه إلى نفسه . فاستطاع عند ذلك أن يشمر بتغير غريب ، فمجب لشأنه وتناسى انشغاله . وبحث عن أسباب شذا الثنير ثوبند يدي تجمان للثرة وكأنها أوسع مما كانت . . . ماذا حدث لها ؟ يا للعجب . . . إنها أوسع مما يتصور . وخطر له خاطر غريب اضطرب له فؤاده ، ولكي يتحقق من وساوسه وضع يده في جيب الصخرة وأخرج حافظه ، لم تكن حافظته ، ووجد بها بطاقة مكتوباً عليها « طه بك المارف »

ووضع الأمر ، وعارده التناق والحنق ، ولم يكن ثمة خوف من اللفضيحة ، فسترات بدل للسهرة متشابهة ، ولكنه كان يشمر بحيرة شديدة ويسائل نفسه : « كيف يمكن أن تتبادل للستران ؟ ! »

نبيب محفوظ

الجماعة ... فسكن زعر الآخريين وأحسا بشيء من الارتياح بل والطمأنينة ، وخطرت لها فكرة مما هي أن للضيقين الجديدين مثلها وأن لا خطر عليهما منهما ، وتأكد هذا اللظن حين شمرا بهزة تصيب للكعبة فدلما أن صاحبهما اختارا كنبتهما مقعداً لها أيضاً ، وتربثا في قلق صار بمد حين ضيقاً وكدرأ لأنهما لم يستطعا أن يأتيا حركة خشية أن يتنبه الآخران فيفزعا ، وربما حدث ما لا تحمد عقباه !

أما الجديدان فكانا يظنانا نفسيهما في أمان وخلوة فلم يحاذرا إلا بمقدار ، واستطاع الماشقان أن يسماهما وهممة وأن يسما الرجل يهاتع صاحبه رضى تهانته ولم يكفيا بذلك ، بل قال الرجل بصوت استطاع الآخران أن يميزاه : « جيبتي ... صغية ... » وارتجف محمد بك جلال كأنما قطعة من الثلج ألقيت على ظهره ؛ وأحس بإرتياح يد صاحبه في يده . . . كان للصوت صوت طه بك المارف . . . ومن هدى ؟ أليست زوجه هو ؟ ! . . . أى كارثة تجمعت في هذه الحجر المظلمة ا ودق قلبه بمنف وقل دمه قلياناً كاد يفجر الشرايين في دماغه ، ولكنه لبث ساكناً صامتاً وزوجه على قيد ذراع منه في أحضان خليلها ا ولم يكن يأسف على مجزه من تحطيم رأس الرجل — فثل هذا العمل يشير فنيحة حرية بالقضاء على مستقبه السياسى ومركة الانتخابات على الأبواب — ولكنه كان منيظاً عنقاً لأن غريمه لا يدرك في تلك اللحظة أن زوجه بين يديه هو أيضاً ...

وانتظر دقائق كالأجبال ، وشمر أخيراً بحركة استدل بها على قيام الرجل وسمه يقبل زوجه بحرية ويقول لها : « لو تسدل الدنيا ... فزوجك للنبي ليس أهلاً لك وزوجتى ليست أهلاً لى . ولكن ما للمعل ؟ ! » ... ثم تسلا خارجين كما أتيا ... وكان للفضب قد أفسد على جلال بك مزاجه فقام هائجاً ، وبحث عن ستره حتى عثر عليها وأخذ بيد صاحبه وخرجا في حذر ثم اقتربا في الردهة ...

ولبت ضيق الصدر شديد للكدر ساعة طويلة يلمن طه بك

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأمان الآتية :
السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ،
و ٧٠ قرشا من كل سنة من السنوات : الثانية
والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة
في مجلدين . وذلك من أجل البريد وقدرها خمسة
قروش في الداخل وخمسة قروش في السودان
وعشرون قرشا في الخارج من كل مجلد .